

لحظات اعتبار .. معتز بالله عبد الفتاح



الخميس 14 أبريل 2011 12:04 م

14/04/2011

معتز بالله عبد الفتاح

من تمر به هذه الأيام ولا يعتبر، فليشرع فى إعادة حساباته الأخلاقية والإنسانية[] ومن لم يقرأ القرآن الكريم من فترة، فليشرع فى قراءة سورة القصص وتحديدا الآيات من 76 إلى نهاية السورة[]

هذه الآيات التى تحكى قصة «قارون» تلخص لنا فتنة البحث المرضى عن المكانة[]

وهو اضطراب نفسى وسلوكى، له أعراضه، فهناك أشخاص باحثون عن المكانة بشكل مريض كما يقول علم النفس السياسى ويسعون إليها من خلال الشهرة أو المال أو السلطة، حتى لو تجاوزوا فى سبيل ذلك جميع الاعتبارات الأخلاقية[]

وهذا السعى الموبوء نحو المكانة الشخصية هو ما جعل الكثير من كتاب الزهد فى جميع الحضارات والفلسفات يحذرون منها لأنها يمكن أن تقضى إلى الهلكة الشخصية والجماعية[]

وأتذكر قول أحد التابعين عن فضل الزهد (الذى هو خلو القلب مما رآته العينان) والقناعة (التي هى خلو القلب مما لا تملكه اليدان) حين قال: «إننا فى راحة بال، لو يعلمها الملوك لحاربونا عليها بالسيوف».

هذه الأيام أيام اعتبار بحق[] قارون ليس قصة فى القرآن فقط، وإنما هو جزء من واقع نعيشه[] قال له الناصحون: «لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين» أى المبالغين فى الافتخار بأنفسهم ظنا منهم أن عطاء الله لهم دليل رضى وحظوة، وإنما حقيقة هو جزء من الابتلاء، فالإنسان يبتلى بالمنع وبالعطاء[] قال له الناصحون «وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد فى الأرض، إن الله لا يحب المفسدين». فقال فى صلف: «إنما أوتيته على علم عندي».

إن كل «قارون» فى كل عصر فتنة لغيره[] وقد «قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثملا أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم» ورد أهل العلم: «ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا، ولا يلقاها إلا الصابرون».

فأرانا الله فيه آية بعد أن خسف به وبداره الأرض، «وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكان (أى عجا) الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر، لولا أن مَنَّ الله علينا لخسف بنا».

ليس معنى ما سبق أن هناك ما يدعو أو يبرر التكاثر وفتور الهمم، لكن الحذر أن تتخذ وطننا ومجتمعنا مطية لتحقيق مكانتنا الشخصية[]

أختم بحكمة قرأتها متفرقة، ولكنى جمعتها اعتقادا فى تمام فائدتها: سبحانه وتعالى يعطى من يشاء بفضله، ويمنع من يشاء بعدله، ولا يسأله مخلوق عن علة فعله، ولا يعترض عليه ذو عقل بعقله[] سبحانه، قد يعطى وهو يمنغ، وقد يمنغ وهو يعطى، وقد تأتى العطايا على ظهور البلايا، وقد تأتى البلايا على ظهور العطايا، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم[] والله يعلم وأنتم لا تعلمون[]